



جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف السني



Republic of Iraq
Al-Sunni Endowment

مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ

الإمام الأمام
عصر الرسالة

مَجَلَّةُ عِلْمِيَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ
اقرأ في هذا العدد:

حرية الرأي والتعبير في عصر الرسالة
أ.د. ساجدة محمد زكي محمود

الرؤيا الإصلاحية الاجتماعية في فكر الشيخ محمد الغزالي «رحمه الله»
أ.م.د. محمد سعيد عبد - أ.د. محمود جاسم معيدي

موقف الماتريديّة من مسألة المائيّة عند الضراريّة (دراسة نقدية)
أ.م.د. أحمد عبد الجبار عمران القاضي

إمكانات الذكاء الاصطناعي في خدمة علم التفسير (الواقع والطموح)
أ.م.د. عباس مطلق عباس

البناء الانفعالي والذهني في شخصية امرئ القيس ومعلقته
أ.م.د. إياد سالم إبراهيم نمال الجنابي

المقدّس بوصفه استراتيجية خطابية في هاشميات الكُميت بن زيد الأسدي قراءة في التمثيل الشعري والدلالة
أ.م.د. جمال فاضل فرحان

أزمة الهوية في رواية (زينب وماري وباسمين) لميسلون هادي
أ.م.د. غانم أحمد حسين علوان

الجزء
العدد ٥٦

الجزء

العدد ٥٦

ذو الحجة ١٤٤٧ هـ - حزيران ٢٠٢٦ م

Al- Imam Al-Adham
University College

A.D 2026

A.H 1447



الجزء الأول - العدد السادس والخمسون
ذو الحجة ١٤٤٧ هـ - حزيران ٢٠٢٦ م

ISSN: 1817-6674
رقم الإبداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو 818 في 2005/3/17
coll.magazine@imamaladham.edu.iq



ISSN: 1817-6674

رقم الإبداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو 818 في 2005/3/17
coll.magazine@imamaladham.edu.iq

مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةُ
الإمام الأعظم الجامع

العدد السادس والخمسون

«الجزء الأول»

ذي الحجة ١٤٤٧ هـ

حزيران ٢٠٢٦ م

هيئة تحرير المجلة لسنة ٢٠٢٦م

- أ.د. صلاح الدين فليح حسن - عميد كلية الإمام الأعظم الجامعة المشرف العام
أ.د. فهيمي أحمد عبد الرحمن رئيس التحرير
أ.م.د. علي داود خلف مدير التحرير
أ.د. إسماعيل عبد عباس عضو
أ.د. محمود عبد العزيز محمد عضو
أ.د. حقي إسماعيل محمود عضو لغوي
أ.د. حسام مشكور عواد عضو
أ.د. محمد عبد القادر عجاج عضو مترجم إنكليزي
أ.د. وسام محمد خليفة عضو
أ.د. أحمد ياسين معتوق عضو
أ.د. خالد مصطفى عبيد عضو
أ.د. نور سعد محسن عضو
أ.د. وصفي عاشور أبو زيد / تركيا عضو
أ.د. محسن المطيري / الكويت عضو
أ.د. لبنى خميس مهدي / وزارة التعليم العالي عضو
أ.م.د. عبد الوهاب أحمد حسن الطه عضو
أ.م.د. محمد صالح حسن / دائرة البحوث عضو

شروط النشر في مجلة
كلية الإمام الأعظم الجامعة / العراق



الرقم الدولي ISSN: 1817 - 6674

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد هو ٨١٨ في ١٧/٣/٢٠٠٥م

مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، مجلة إنسانية من المجلات العلمية الأكاديمية الرصينة، وقد صدرت موافقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لاعتمادها بالرقم: بت/٨٦٤ في ٢٤/٥/٢٠٠٥.

شروط النشر العامة:

تسعى هيئة التحرير في مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة إلى الارتقاء بمعامل التأثير (Impact Factor)، تمهيداً لدخول المستوعبات العلمية العالمية، وعليه تنشر مجلة الكلية البحوث التي تتسم بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية، وبسلامة اللغة، ودقة التوثيق وفق الشروط الآتية:

١. ألا يكون البحث منشوراً سابقاً في مجلة أخرى، وألا يكون جزءاً من بحث سابق منشور، أو من رسالة جامعية، وعلى الباحث أن يوقع نموذج تعهدٍ بالألا يكون البحث منشوراً، أو سبق تقديمه للنشر في مجلة أخرى، وألا يقدمه للنشر في مجلة أخرى بعد نشره في مجلة كليتنا، وأن يوافق على نقل حقوق نشر البحث إلى المجلة في حال قبول نشره.

٢. ألا يذكر اسم الباحث أو أي إشارة تدلُّ عليه في متن البحث؛ لضمان سرية وحيادية عملية التحكم.

٣. ألا يزيد عدد الكلمات في البحث على (٨٠٠٠) كلمة، مع المصادر والملاحق، أو ألا يزيد على خمس وعشرين صحيفة.

٤. أن تحتوي الصحيفة الأولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - ب. اسم الباحث ودرجته العلمية وتخصصه باللغة العربية والإنجليزية.
 - ج. مكان عمل الباحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - د. رقم هاتف الباحث وبريده الإلكتروني الجامعي.
 ٥. يقدم الباحث ملخصًا (باللغة العربية والإنجليزية) لا يقل على (١٥٠) كلمة.
 ٦. يوضع بعد الملخص (Abstract) مباشرة الكلمات المفتاحية لموضوع البحث (Keyword)، باللغة العربية والإنجليزية.
 ٧. على الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر، وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع سياسة المجلة.
 ٨. تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الأمريكي وكما يأتي:
 - مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
 - قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
 - قائمة المصادر باللغة الإنكليزية (APA).
 ٩. الاستشهاد بعددين من أعداد المجلة المنشورة سابقًا والمرفوعة في الموقع الإلكتروني الخاص بكليتنا في الرابط الإلكتروني: <https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues>.
 ١٠. تطبق المجلة نظام فحص الاستلال الإلكتروني باستخدام برنامج (Turnitin) ويرفض نشر الأبحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال ٢٠٪.
 ١١. يخضع البحث لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير في المجلة، وذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها أن تعتذر عن قبول البحث دون تقديم الأسباب.
 ١٢. تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر، إذ يعرض البحث المقدم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص، ويتم اختيارهما بسرية مطلقة، بالإضافة إلى عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.
 ١٣. الأبحاث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها لتكون صالحة للنشر، تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة عليها، وخلاف ذلك لا يتم استلام البحث، وستتم مراجعة البحث من قبل هيئة التحرير للتأكد من التزام الباحث بالأخذ بجميع الملاحظات المثبتة من قبل المقيمين.

١٤. تُعبّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة.
١٥. تنشر المجلة أعداداً خاصة بالمؤتمرات العلمية المتوافقة مع تخصص المجلة.
١٦. أجور نشر البحث: يدفع الباحث (٥٠) ألف دينار لتغطية أجور التحكيم، ويكمل دفع بقية الأجور عند قبول البحث للنشر.
١٧. تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف على ضوء المنهج العلمي الدقيق الكامل.
١٨. يزود الباحث بنسختين مستلة، بعد النشر.
٢٠. يتم إرسال الأبحاث على منصة المجلة <https://journal.imamaladham.edu.iq/index.php/al-Imam-Adham/user/register> أو من خلال مسح رمز QR في أعلى الصفحة.

شروط النشر (الفنيّة):

- ١ - يقدّم البحث بملف واحد، يبدأ بالعنوان وينتهي بالمصادر، وألاً يزيد على خمس وعشرين صحيفة.
- ٢ - تكتب الهوامش داخل المتن وبين قوسين (APA) النظام الأمريكي وكما يأتي:
- مع تطور الحياة (الزمخشري، ١٩٩٩: ٣٥).
 - قائمة المصادر باللغة العربية (APA).
 - قائمة المصادر باللغة الانكليزية.
- ٣ - حجم الخط ل (١٦).
- ٤ - نوع الخط باللغة العربية (Simplified Arabic) واللغة الإنجليزية (Times New Roman) . - ملاحظة: في حال عدم الأخذ بشروط النشر نعتذر عن استلام البحث ونشره. - يمكن زيارة موقع المجلة في مبنى الكلية في سبع إبكار أو التواصل عبر البريد الإلكتروني magazine@imamaladham.edu.iq أو الاتصال بمدير التحرير عبر الهاتف (٠٠٩٦٤٠٧٧٣٢٤٣٥٦٩٣)، ويمكن الاطلاع على أعداد المجلة عن طريق موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي <https://www.iasj.net/iasj/journal/224/issues>

مميزات المجلة:

- ١ - سياسة الوصول المفتوح: جميع الأبحاث متاحة مجاناً فور نشرها.
- ٢ - تُنشر أربعة أعداد سنوياً منذ عام ٢٠٠٥.
- ٣ - تستخدم برامج متقدمة للكشف عن الانتحال لضمان الأمانة العلمية.
- ٤ - تُعنى بنشر الأبحاث التي تواكب التطورات وتسهم في معالجة قضايا المجتمع والحد من الظواهر السلبية.
- ٥ - تنشر أعمال المؤتمرات والندوات المتخصصة.

كلمة العدد السادس والخمسين

مع إسدال الستار على موسم الامتحانات النهائية، يحسن التوقف عند مرحلة توصف بأنها خاتمةً لجهدٍ علمي امتد لأيام طوال من العمل الأكاديمي، وتليها مرحلة لا تقل أهمية في رسالة الأستاذ الجامعي، وهي مرحلة البحث العلمي والإنتاج المعرفي. فإن الحياة الجامعية لا تُقاس بفاعلية برامجها التعليمية فحسب، بل بقدرتها على إنتاج المعرفة وتطويرها، والإسهام في معالجة قضايا المجتمع والإنسانية. فدور الأستاذ الجامعي لا ينتهي عند حدود التدريس فحسب، بل يبدأ فصل جديد من النشاط العلمي والمهني، والإسهام في رفع المكانة الأكاديمية لمؤسساتنا من خلال إنتاج معرفي يتسم بالجدة والمنهجية والأثر لا سيما بما يتكامل بنتاج البحث العلمي الذي يرفد العلوم بنتائج علمية رصينة.

هيئة التحرير

المحتويات

١. حرية الرأي والتعبير في عصر الرسالة ١١
أ.د. ساجدة محمد زكي محمود
٢. موقفُ الماتريديَّة من مسألة المائيَّة عند الضراريَّة (دراسة نقدية) ٣٧
أ.م.د. أحمد عبد الجبار عمران القاضي
٣. البناء الانفعالي والذهني في شخصية امرئ القيس ومعلقته ٥٥
أ.م.د. إياد سالم إبراهيم نمال الجنابي
٤. المقدّس بوصفه استراتيجيّة خطايية في هاشميات الكُميت بن زيد الأسدي قراءة في التمثيل الشعري والدلالة ٨٩
أ.م.د. جمال فاضل فرحان
٥. أثر القواعد الفقهيّة في اختلاف الأحكام بين المذاهب (دراسة فقهية مقارنة) ١١٩
أ.م.د. طالب أحمد عواد
٦. إمكانات الذكاء الاصطناعي في خدمة علم التفسير (الواقع والطموح) ١٦٥
أ.م.د. عباس مطلق عباس
٧. أزمة الهوية في رواية (زينب وماري وياسمين) لميسلون هادي ١٨٧
أ.م.د. غانم أحمد حسين علوان
٨. الرؤيا الإصلاحية الاجتماعية في فكر الشيخ محمد الغزالي «رحمه الله» ٢١٧
أ.م.د. محمد سعيد عبد
- أ.د. محمود جاسم معيدي
٩. التماسك النصي في ديوان زمان الصمت (قصيدة عتبة بيضاء أنموذجاً) - دراسة نحوية - .. ٢٥١
م. سوزان كامل عبد غيلان
١٠. أثر المتابعات والشواهد في تغيير أحكام الحديث ٢٧٩
م.د. أحمد عطا الله رحيم عبدالرزاق الكبيسي
١١. الحرب التجارية في السيرة النبوية ٣٠٥
م.د. أحمد علوان صالح الجبوري

١٢. تجليات البلاغة العربية في الشعر الحديث (دراسة تطبيقية على نماذج مختارة).... ٣٢٣ م.د. حامد خليل مطر.....
١٣. حديث (إِنَّ أَمَامَ الدَّجَالِ سِنِينَ خَدَاعَةً) «دراسة نقدية موضوعية»..... ٣٤٣ م.د. حردان عبد إبراهيم.....
١٤. النظام القانوني لسوء النية وأثره على العلاقة التعاقدية..... ٣٦٧ م.د. رؤى عبد الستار صالح.....
١٥. تأثير التسويق الوردي في تشكيل مواقف النساء تجاه العلامة التجارية وانعكاسها على نوايا الشراء في سوق السلع الفاخرة..... ٣٨٩ م.د. محمد صالح حسن النداوي.....
١٦. الجواز عند ابن جني في كتاب اللمع - دراسة نحوية - ٤٣٥ م.د. مهند عبد الجبار حسن.....
١٧. الخلاف النحوي في الأصول لابن السراج (٣١٦هـ) (دراسة إحصائية)..... ٤٦٣ م.د. نور أحمد عبد الله اكريم.....
١٨. التلاحم السياقي والوحدة البنائية في القرآن الكريم علم المناسبات أصولاً وتطبيقاً... ٤٩٣ م.م. الهام زيد عبید.....
١٩. منهج الإمام نظام الدين النيسابوري (ت ٧٣٠هـ) في الرد على المشبهة والمجسمة من تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان - دراسة عقدية - ٥١١ م.م. خضير عامر خضير.....
٢٠. الإمام الجويني (ت ٤٧٨ هـ) ومنهجه بكتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة..... ٥٣٣ م.م. عبد المجيد رشيد عبد المجيد.....
٢١. البنية الطبقيّة وأثر التحولات الاجتماعيّة في تشكيل شخصيات الرواية: رواية «مواسم البراءة» نموذجاً..... ٥٤٩ م.م. فارس فاضل محمود.....
٢٢. المنهج التربوي لوصايا لقمان لإبنه في سورة لقمان..... ٥٦٩ م.م. قاسم محمد أحمد المجمعي.....
٢٣. تطبيقات قاعدة المشقة تجلب التيسير في السفر المعاصر (الطيران) نموذجاً..... ٥٩٣ م.م. هبة مجيد أحمد.....

المقدس بوصفه استراتيجية
خطابية في هاشميات الكُميت
بن زيد الأسدي
قراءة في التمثيل الشعري والدلالة

The Sacred as a Discursive Strategy in the Hāshimiyyāt
of Al - Kumayt bn Zayd al - Asadi - A Study in Poetic
Representation and Meaning

إعداد الباحث

أ.م.د. جمال فاضل فرحان

كلية التربية الأساسية - حديثة / جامعة الانبار

Asst. Prof. Jamal Fadhil Farhan

College of Basic Education - Haditha

University of Anbar/Iraq

jamal.fadhil.f@uoanbar.edu.iq

orcid.org/ 0009 - 0002 - 4012 - 5572

تاريخ استلام البحث: 5 / 5 / 2026

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليات توظيف المقدّس في قصائد الكُمَيْت بن زيد الأسدي المعروفة بـ«الهاشميات»، وبيان دوره في تشكيل خطابه الشعري ذي الأبعاد الدينية والسياسية والفكرية. وقد انطلق البحث من دراسة مفهوم المقدّس وعلاقته بالشعر العربي، ثم اتجه إلى تحليل نماذج مختارة من الهاشميات، للكشف عن تجليات المقدّس الديني والتاريخي، وآليات استدعاء الرموز والشخصيات والأحداث المرتبطة بالمرجعية الإسلامية. واعتمد البحث المنهج التحليلي بوصفه الأداة الأنسب لدراسة البنية الفنية والدلالية للنصوص الشعرية، من خلال الوقوف على الأساليب التعبيرية والصور الفنية التي أسهمت في بناء خطاب شعري يجمع بين الوظيفة الجمالية والبعد العقائدي. كما سعى البحث إلى بيان أثر العاطفة الدينية في تشكيل رؤية الشاعر، وإبراز الكيفية التي تحوّل بها المقدّس إلى استراتيجية خطابية أسهمت في توجيه المعنى وتعزيز البعد الاقناعي والتأثيري في النص الشعري. وقد خلصت الدراسة إلى أن الكُمَيْت استطاع في «الهاشميات» أن يوظف المقدّس توظيفاً فنياً وفكرياً عميقاً، جعل منها نصوصاً شعرية ذات بعدٍ عقائدي واضح، وأسهم في منحه خصوصية فنية وفكرية مميزة في سياق الشعر الأموي.

الكلمات المفتاحية: (المقدّس، الكُمَيْت بن زيد الأسدي، الهاشميات، الخطاب الشعري، الدلالة).

Abstract:

This research aims to uncover the mechanisms of employing the sacred in the poems of al - Kumayt ibn Zayd al - Asadi, known as “al - Hashimiyyat,” and to demonstrate its role in shaping his poetic discourse, which encompasses religious, political, and intellectual dimensions. The research begins by examining the concept of the sacred and its relationship to Arabic poetry. It then proceeds to analyze selected examples from al - Hashimiyyat to reveal the manifestations of the religious and historical sacred, and the mechanisms of invoking symbols, figures, and events associated with Islamic references. The research adopts the analytical method as the most suitable tool for studying the artistic and semantic structure of the poetic texts. This involves identifying the expressive techniques and artistic imagery that contribute to constructing a poetic discourse that combines aesthetic function with doctrinal dimension. The research also seeks to demonstrate the impact of religious sentiment on shaping the poet’s vision and to highlight how the sacred is transformed into a rhetorical strategy that contributes to guiding meaning and enhancing the persuasive and influential aspects of the poetic text. The study concluded that al - Kumayt, in his “al - Hashimiyyat,” skillfully employed the sacred in a profound artistic and intellectual manner, transforming them into poetic texts with a clear doctrinal dimension and contributing to their distinctive artistic and intellectual character within the context of Umayyad poetry.

Keywords: the sacred, al - Kumayt ibn Zayd al - Asadi, al - Hashimiyyat, poetic discourse, meaning.

المقدمة

يُعدّ الشعر العربي في العصر الأموي مرآة صادقةً للتحوّلات الفكرية والسياسية والدينية التي شهدتها المجتمع الإسلامي في تلك المرحلة؛ إذ تجاوز وظيفته الجمالية التقليدية ليغدو وسيلةً للتعبير عن المواقف العقائدية والانتماءات السياسية، وأداةً فاعلةً في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيهه. ومن بين الشعراء الذين مثّلوا هذا التحوّل بوضوح الشاعر الكُمَيْت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ)، الذي يُعدّ من أبرز شعراء العصر الأموي وأكثرهم اقترباً بالاتجاه السياسي والعقائدي في الشعر العربي.

نشأ الكُمَيْت في الكوفة في بيئة علمية وثقافية زاخرة بمعارف اللغة والأنساب والشعر، فامتلك ثقافة واسعة أهلته لأن يحتل منزلة متميزة بين شعراء عصره، وقد عُرف بجرأته الفكرية وقوة موقفه السياسي، فضلاً عن ولائه العميق لآل البيت (عليهم السلام)، وهو ما تجلّى بصورة واضحة في قصائده المعروفة بـ«الهاشميات»، التي مثّلت خطاباً شعرياً ذا أبعاد دينية وسياسية وفكرية (ينظر: الإصفهاني، د.ت، ج ٣، ص ١٤٥). وقد استطاع الكُميت من خلالها أن ينقل الشعر من دائرة المديح والهجاء التقليديين إلى فضاء الاحتجاج السياسي والدفاع العقائدي، فكانت هذه القصائد شاهداً على تداخل الأدب بالدين والسياسة في الثقافة العربية الإسلامية (ينظر: القيسي، ١٩٧٢، ص ٤٥).

ويبرز في هذه الهاشميات حضورٌ لافتٌ للمقدّس بوصفه عنصراً بنائياً وفكرياً أسهم في تشكيل رؤيته الشعرية؛ إذ استثمر الشاعر الرموز الدينية والتاريخية، واستحضر الشخصيات والأحداث ذات البعد العقائدي، موظفاً ذلك في التعبير عن قناعاته الفكرية ومواقفه السياسية. ولم يقتصر هذا التوظيف على مجرد الإشارة التاريخية أو التضمين الديني، بل تجاوز ذلك إلى بناء خطاب شعري تتداخل فيه العاطفة الدينية مع الرؤية الفنية، بما يمنح النص بعداً رمزياً وتأثيراً وجدانياً عميقاً.

وتتبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على ظاهرة توظيف المقدّس في شعر الكُمَيْت عامة، وفي هاشمياته خاصة، بوصفها ظاهرة تكشف عن طبيعة العلاقة بين الأدب والعقيدة، وعن الكيفية التي تحوّل بها الشعر إلى وسيلة للتعبير الفكري والدفاع المذهبي. كما يسهم البحث في إبراز القيمة الفنية والفكرية للهاشميات، والكشف عن الأبعاد الرمزية

والجمالية التي أضفاها توظيف المقدّس على تجربة الكُمَيْت الشعرية.

أما دوافع اختيار الموضوع فتتمثل في الرغبة في دراسة جانبٍ محدّد من شعر الكُمَيْت لم يحظَ بما يستحقه من التحليل الدقيق، فضلاً عن أهمية الهاشميات بوصفها نموذجاً شعرياً يجمع بين البعد الفني والبعد العقائدي، إلى جانب ما يمثله مفهوم المقدّس من حضور مؤثر في تشكيل الخطاب الأدبي العربي الإسلامي.

ويسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها: الكشف عن مظاهر حضور المقدّس في «الهاشميات»، وتحليل الآليات الفنية التي اعتمدها الشاعر في توظيف الرموز الدينية والتاريخية، وبيان أثر العاطفة الدينية في تشكيل رؤيته الشعرية، فضلاً عن توضيح العلاقة بين المقدّس والبنية الفكرية والفنية في شعره، وإبراز الدور الذي أدّاه هذا التوظيف في تمييز تجربته الشعرية داخل الشعر الأموي.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد المنهج التحليلي؛ لكونه الأنسب في الكشف عن البنى الفكرية والفنية للنصوص الشعرية، وتحليل الدلالات الرمزية والجمالية المرتبطة بالمقدّس في الهاشميات، من خلال قراءة نماذج مختارة من هذه القصائد، والوقوف عند ما تتضمنه من إشارات دينية وتاريخية ورؤى فكرية.

وانتظم البحث في تمهيدٍ تناول مفهوم المقدّس ودلالاته، وبيان حضوره في الشعر العربي، ثم أعقبه جانب تطبيقي خُصص لدراسة أبرز مظاهر توظيف المقدّس في الهاشميات وتحليلها، وهي: المقدس القرآني، والمقدس النبوي، والمقدس التاريخي، وصولاً إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

مفهوم المقدس، ودوره في الشعر العربي (عتبة تعريفية):

يُعدّ «المقدّس» من أكثر المفاهيم تعقيداً وتشعباً في الفكر الإنساني والديني إذ يتجاوز الدلالة اللغوية إلى معنى فلسفي وروحي واجتماعي عميق فالمقدّس في جوهره «هو كل ما يُنظر إليه على أنه متعالٍ عن المألوف الإنساني وذو صفة إلهية أو روحانية تُضفي عليه الهيبة والتبجيل فيُفصل بذلك عن عالم العادي واليومي ويُعامل بقداسة واحترام خاص» (بدوي، ١٩٩٩، ص ١٢٤).

ويرى علماء الأديان ومنهم «إميل دوركايم» أن «المقدّس» يمثل أحد القطبين الأساسيين للحياة الدينية في مقابل «المدنّس»، أي كل ما هو دنيوي ومبتذل؛ إذ يقول «كل نظام

ديني يقوم على التمييز بين المقدّس والمدنّس فالأول يُحاط بالمهابة والثاني يُعامل على أنه مألوف» (دوركايم، ٢٠٠٥، ص ٣٣)، ومن هذا التمييز نشأت لدى الإنسان نزعة نحو الفصل بين ما يُقدّس وما يُستهلك، مما جعل «المقدّس» نواةً لتكوين الضمير الجمعي والقيم الأخلاقية للمجتمع. أما الفيلسوف «ميرسيا إلياد» فيرى أن المقدّس «هو تجربة وجودية يعيشها الإنسان عندما يواجه ما يتجاوز قدرته المادية فيصفه بأنه تجلٌّ للواقع المطلق الذي يمنح الأشياء معناها وقدرتها على الاستمرار» (إلياد، ١٩٩٦، ص ١٥)، وعلى وفق هذا التصوّر فإن «المقدّس» لا يُدرك بالعقل المجرّد بل يُعاش من خلال الشعور بالرهبة والانبهار أمام الغيب، وهو ما يسميه «إلياد» الرهبة المقدّسة، أي الإحساس بوجود قوة عليا تنظم الكون والحياة.

وفي الفكر الإسلامي اكتسب مفهوم «المقدّس» بُعداً أكثر تحديداً؛ فهو مرتبط بالعقيدة التوحيدية التي تُنزّه الله عن مشابهة خلقه، وتجعل كل ما يتصل به كالقرآن الكريم والأنبياء والكعبة المشرفة وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في مرتبة متميزة من القداسة؛ لأنهم وسائط هداية تعبّر عن الإرادة الإلهية في التاريخ، فالمقدّس في الإسلام «ليس مجرد رموز طقسية بل هو قيمة توجيهية تؤثر في الفكر والسلوك وتُحدّد علاقة الإنسان بربه ومجتمعه» (العسلي، ٢٠١٩، ص ٤٧).

ويحتلّ «المقدّس» مكانةً محورية في الوعي الجمعي للأمة العربية الإسلامية؛ إذ شكّل منذ البدايات الأولى للإسلام مرجعاً ثقافياً وفكرياً وأخلاقياً لا غنى عنه في تشكيل الرؤية الكونية للمسلم «(ضيف، ١٩٩٣، ص ١١٥)، ولأنّ «الشعر العربي ظلّ على الدوام الوعاء الأبرز للتعبير عن التجربة الإنسانية والفكرية فقد كان من الطبيعي أن يتأثر بالنصوص المقدّسة، وأن يعكس في بنيته حضور القرآن الكريم والحديث النبوي وسائر المرويات الدينية توظيفاً أو تضميناً أو اقتباساً» (عباس، ١٩٧١، ص ٢٢٣).

ومن هنا برزت أهمية دراسة «المقدّس» في الشعر العربي؛ لما يمثله من ظاهرة نصّية ودلالية تكشف عن طبيعة العلاقة بين النص الشعري والنص الديني (ينظر: عطوان، ١٩٨٠، ص ١٩٨). ولقد أتاح حضور المقدّس في الشعر العربي أبعاداً معرفية وجمالية متجدّدة، فمن جهة أسهم في ترسيخ البعد الحجاجي للشعر؛ إذ استمدّ الشاعر من النصوص الشرعية سلطة مرجعية تعزّز صدقية موقفه، ومن جهة أخرى منح الشعر بُعداً فنياً أضفى عليه ثراءً بلاغياً ودلالياً؛ إذ أتاح للنص الشعري إمكانات واسعة للتأويل والتأثير (ينظر: الطيب، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٢٥١)، ولعلّ هذا الحضور يكشف عن عمق التداخل بين الأدب والدين في الثقافة العربية

الإسلامية؛ إذ لم يكن الشعر معزولاً عن قضايا العقيدة والفكر بل كان شاهداً على تجلياتها، ومعبراً عنها (ينظر: الفحّام، ١٩٨٥، ص ١٤٤).

إنّ دراسة «المقدّس» في الشعر العربي تتيح قراءة مزدوجة، إحداهما تُعنى بتتبّع النصوص الدينية داخل البنية الشعرية من حيث الشكل واللغة والأسلوب، وأخرى تكشف عن الأبعاد الفكرية والعقدية التي يعكسها هذا التوظيف، ومن ثمّ فإنّ هذا الموضوع لا يقف عند حدود الجانب الأدبي فحسب، بل يتجاوز إلى الحقول الدينية والفكرية والاجتماعية بما يجعل البحث فيه ذا قيمة علمية تكمن في إبراز العلاقة الجدلية بين النص المقدّس والنص الأدبي في التاريخ الثقافي للأمة العربية الإسلامية (ينظر: الغانمي، ٢٠٠٥، ص ٧٧).

لقد شهدت حقبة تاريخية مختلفة تطوراً في كيفية توظيف المقدّس الديني في الشعر العربي بدءاً من الشعر الجاهلي مروراً بالعصرين الأموي والعباسي وصولاً إلى الشعر العربي الحديث والمعاصر؛ ففي العصر الحديث «أصبح استدعاء الرموز الدينية مثل شخصية المسيح وسيلة للتعبير عن قضايا إنسانية واجتماعية حيث تماهى الشاعر مع هذه الرموز لتسليط الضوء على معاناته وتطلعاته» (فرحان، ٢٠١٠، ص ٧٨).

إذن فالمقدّس يتضمن ثلاثة أبعاد مترابطة، هي (ينظر: دوركايم، ٢٠٠٥، ص ٥٢):

- ١ - البعد الإلهي: وهو ما يتصل بالله تعالى وصفاته وآياته وأفعاله.
- ٢ - البعد الرمزي: ويمثله الأنبياء والأولياء والأماكن التي ترتبط بالوحي بوصفها تجليات للقداسة.

٣ - البعد الاجتماعي - الثقافي: ويتمثل في كيفية تلقي الجماعة للمقدّس وتحويله إلى منظومة قيم وسلوك ومعايير تحدّد الصواب والخطأ والحق والباطل. ومن ثمّ فإنّ المقدّس ليس فكرة ساكنة بل قوة فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي والهوية الثقافية؛ إذ يمنح الأفراد شعوراً بالانتماء والطمأنينة، ويُستخدم في الخطاب الديني والأدبي والسياسي؛ لتأكيد المشروعية والهوية والذاكرة التاريخية للأمة.

ومن أبرز مظاهر حضور «المقدّس» في شعر الكميّت، هي:
أولاً: المقدّس القرآني:

لقد شكّل القرآن الكريم في الوجدان العربي منبعاً فكرياً وروحياً أثر بعمق في النتاج الأدبي منذ نزوله، فكان الكميّت من أوائل الشعراء الذين وعوا هذا الأثر واستثمروا طاقته الرمزية والدلالية في شعرهم، ولم يكن استحضاره للآيات القرآنية مجرد توشيح لفظي أو زخرف بياني، بل جاء

بوصفه توظيفاً دلاليًا واعياً يهدف إلى ترسيخ حجته وتأكيد صدق موقفه في الدفاع عن آل البيت عليهم السلام وإضفاء مشروعية دينية على خطابه الشعري؛ إذ إن المعجم القرآني بما يحمله من مفاهيم، أصبح إطاراً دلاليًا يعزز خطاب الشاعر ويمنحه بعداً رسالياً واضحاً، وقد أشار (عبد اللطيف السامرائي) إلى أن حضور القرآن في الأدب العربي لم يقتصر على الاقتباس المباشر، بل تجاوز ذلك إلى التأثير بنيته التعبيرية وإيقاعه البلاغي ومعجمه الدلالي، الأمر الذي أسهم في تشكيل خطاب أدبي ذي طابع فكري وروحي واضح (ينظر: السامرائي، ١٩٧٨ ص ٦٤). وهو ما نجده في قول الكُميت (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥٢٥):

فِدَى لَكَ مَوْزُونًا أَبِي وَأَبُو أَبِي وَنَفْسِي وَنَفْسِي بَعْدُ بِالنَّاسِ أَطْيَبُ
بِكَ اجْتَمَعَتْ أَنْسَابُنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ فَحَنُّ بَنُو الْإِسْلَامِ نُدْعَى وَنُنْسَبُ

فالشاعر لم يعتمد الاقتباس اللفظي في نسج هذين البيتين، بل انطلق إلى توظيف الإيقاع القرآني ومعجمه ودلالاته، فيبرز فيهما البعد الديني العميق؛ إذ يعلن الشاعر استعداداه للتضحية بنفسه في سبيل رسول الله، وهو تعبير يدل على صدق الانتماء العقائدي وقوة الارتباط بالرسالة الإسلامية فقله: «فِدَى لَكَ مَوْزُونًا أَبِي وَأَبُو أَبِي وَنَفْسِي» يعكس درجة عالية من التقديس والولاء، ويشير إلى أن مكانة النبي في وجدان الشاعر تتجاوز حدود المديح التقليدي لتصبح تعبيراً عن الإيمان العميق بقيم الرسالة التي جاء بها. أما البيت الثاني فيبرز فكرة الوحدة التي جاء بها الإسلام، إذ يؤكد الشاعر أن الإسلام جمع أنساب العرب بعد التفرق، وجعل الانتماء إليه رابطة جامعة تتجاوز العصبية القبلية.

فالإسلام هنا يظهر بوصفه الهوية العليا التي ينتسب إليها الجميع، وهو ما يتجلى في قوله: «فحن بنو الإسلام ندعى ونسب»، حيث يضع الشاعر الانتماء الديني فوق أي انتماء آخر، ويكشف هذا المعنى عن تأثير الخطاب الشعري بالمعجم القرآني الذي يؤكد وحدة الأمة الإسلامية وإلغاء الفوارق القبلية، وفي ذلك يتجلى أثر الأسلوب القرآني في تشكيل الرؤية الفكرية للأدب العربي من خلال ما يتميز به من دقة في التعبير، وإحكام في النظم، وعمق في الدلالة؛ إذ أسهم هذا الأسلوب في ترسيخ مفاهيم كبرى مثل الأمة والدين والوحدة، وجعلها مرتكزات أساسية في بناء الخطاب الأدبي، بحيث يغدو التعبير حاملاً لرسالة فكرية وروحية تتكامل فيها البلاغة مع المعنى (السامرائي، ١٩٨٤، ص ١١٢).

لقد أدرك الكُميت أن القرآن الكريم هو المصدر الأعلى للشرعية الروحية والفكرية، ولذلك اتجه إلى استحضار مفرداته استحضاراً واعياً في شعره ولاسيما في هاشمياته التي اتخذ فيها

من المقدّس القرآني وسيلةً لتثبيت موقفه العقدي وتدعيم احتجاجه السياسي. ولم يكن هذا التوظيف مجرد زينة لغوية أو استعارة لفظية، بل كان جزءاً من بناء منهجي يقوم على جعل مفردات النصّ القرآني مرجعيةً عليا يستمد منها الشاعر قوّة خطابه، ويضفي بها على موقفه مصداقيةً دينية تُلزم المتلقّي المؤمن وتدفعه إلى القبول بالحجّة التي يعرضها. وقد ظهر هذا الربط بين الشعر والمقدّس القرآني بوضوح في كثير من الهاشميات، ولا سيما تلك التي تؤسس للهوية الدينية وتربط الانتماء السياسي بالعقيدة المستمدة من القرآن، ويبرز هذا في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥٣٦):

أَلَمْ تَرِنِي مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أُرُوحٌ وَأَغْدُوا خَائِفًا أَتَرَقَّبُ
كَأَنِّي جَانٍ مُحَدِّثٌ وَكَأَنَّمَا بِهِمْ يُتَّقَى مِنْ خَشْيَةِ الْعُرِّ أَجْرَبُ

ففيه يعبر الشاعر عن حالة نفسية مضطربة ناتجة عن حبه الشديد لآل محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ يجعله هذا الحب يعيش في خوف دائم وترقب مستمر، وكأنه ارتكب ذنباً عظيماً يستوجب الملاحقة والعقاب. هذا التصوير يعكس جواً من القلق والاضطهاد، ويبرز المفارقة بين قداسة المحبوب (آل محمد)، وبين المعاناة التي يلقاها المحب بسبب هذا التعلق.

وفي قوله: «أروح وأغدو خائفاً أترقب»، يظهر تأثر واضح بأسلوب القرآن الكريم، خاصة بآية خروج موسى (عليه السلام)، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (سورة القصص: آية ٢١)، حيث تتشابه البنية التعبيرية في الجمع بين الخوف والترقب. إلا أنّ الشاعر لا يقتبس الآية اقتباساً مباشراً، بل يوظف تركيباً لغوياً مستلهماً من الأسلوب القرآني، مما يضفي على النص مسحة من الجلال والرهبة.

أما قوله: «كأنني جانٍ مُحدث»، فيشبه نفسه بمن ارتكب جناية، وهو تشبيه يضحّم الإحساس بالذنب والخطر، رغم أن «ذنبه» الحقيقي هو الحب. ثم يتابع الصورة بقوله: «وكأنما بهم يُتقى من خشية العُرِّ أجرب»، حيث يصوّر الناس كأنهم يتخذون من حب آل محمد وقايةً من شيءٍ مكروه، أو كأن هذا الحب أصبح موضع نفور، فيبالغ في تصوير الرفض الاجتماعي.

وبذلك يجمع هذا النص طابعاً عاطفياً قوياً، ويعتمد على صور بلاغية تعبّر عن الاغتراب والخوف. كما يتضمّن تأثراً بالأسلوب القرآني دون اقتباس حرفي، وهو ما يعزّز عمق المعنى، ويمنح التعبير قوّة وإيحاءً، وحجّة عقديّة تُظهر أنّ ولاءه السياسي ليس خياراً دنيوياً، وإنما هو

امتداد طبيعي للانتماء الديني كما حدده الوحي.

ومنه يلحظ أن توظيف المقدس القرآني في شعره يُعدّ جزءاً أساساً من بنية خطابه الاحتجاجي، لا مجرد ملمح بلاغي عابر؛ فهو يستثمر المرجعية القرآنية ليدعم موقفه العقدي؛ إذ يُضفي على شعره صبغةً شرعية تجعل القارئ أمام خطابٍ يقترب في كثير من عناصره من أسلوب الوعظ القرآني القائم على الحجة والبرهان. ومن ثم تأثر واضح بالأسلوب القرآني وبنيته الاحتجاجية؛ إذ لم يقتصر التأثير على مستوى الألفاظ والصور، بل امتدّ إلى طريقة بناء المعنى، وإقامة الحجة، وإقناع المتلقي، وهو ما جعل النص الأدبي يستمدّ من القرآن قوته الدلالية والبرهانية.

ويلحظ أن توظيف المفردات القرآنية في شعره مثل: (الحق، والضلال، والهدى، وغيرها)، لم يكن اعتباطياً بل نابعاً من رؤية فكرية تتبنى فكرة الاصطفاء الإلهي لأهل البيت؛ بوصفهم حملة النور والهدى، وهو ما نجده في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥٣٥):

إِذَا قِيلَ هَذَا الْحَقُّ لَا مَيْلَ دُونَهُ	فَأَنْقَاضُهُمْ فِي الْغَيِّ حَسْرَى وَلُغَبٌ
وَإِنْ عَرَضَتْ دُونَ الضَّلَالَةِ حَوْمَةٌ	أَخَاضُوا إِلَيْهَا طَائِعِينَ وَأَوْثَبُوا
وَقَدْ دَرَسُوا الْقُرْآنَ وَافْتَلَجُوا بِهِ	فَكُلُّهُمْ رَاضٍ بِهِ مُتَحَزِّبٌ
فَمِنْ أَيْنَ أَوْ أُنَى وَكَيْفَ ضَلَالُهُمْ	هُدَى وَالْهَوَى شَتَّى بِهِمْ مُتَشَعِّبٌ

ففيه يتجلّى حضور المقدس القرآني بوصفه حضوراً بنوياً لا يقتصر على الاستشهاد أو التزيين اللفظي، بل يتجاوز ذلك إلى تشكيل الرؤية الفكرية وبناء الموقف العقدي داخل النص الشعري؛ فالمفردات القرآنية التي تتكرر في شعره مثل: (الحق، الضلال، الهدى، الهوى)، ليست عناصر معجمية عابرة، وإنما مفاهيم مركزية ذات حمولة دلالية عميقة مستمدة من الحقل القرآني، حيث تكتسب هذه الألفاظ في السياق القرآني طابعاً تقابلياً حاداً يقوم على ثنائية الهداية والانحراف، والاصطفاء والخذلان.

وفي الآيات المذكورة، نلاحظ أن الكُميت يوظف هذه الثنائية توظيفاً حجاجياً واضحاً؛ إذ يجعل «الحق» معياراً مطلقاً لا يقبل الميل أو التعدد، في مقابل «الغي»، و«الضلالة» بوصفهما انحرافاً عن هذا المعيار. وهذا التقابل يعكس بوضوح أثر البنية القرآنية التي تقوم على الفصل بين طريقين: طريق الهدى وطريق الضلال، وهو ما يتقاطع مع التصور القرآني للهداية بوصفها اختياراً إلهياً مرتبطاً بالاصطفاء.

كما أن قوله «وقد درسوا القرآن وافتلجوا به»، يكشف عن بعدٍ آخر من التفاعل مع النص

القرآني؛ إذ لا يكتفي الشاعر بالإشارة إلى المعرفة بالقرآن، بل يربطها بالفعل الجدلي «افتلجوا به»، أي جعلوه حجة وبرهاناً. وهنا تتحول المرجعية القرآنية من مجرد نص مقدّس إلى أداة استدلال وإقناع، وهو ما ينسجم مع ما قرره «الجاحظ» حين وصف الكُميت بأنه أول من سلك طريق الاحتجاج للشيعا (ينظر: الجاحظ، د.ت، ص ٣١٢)، في إشارة إلى وعيه المبكر بقيمة الخطاب القرآني في تأسيس الحجة.

ومن منظور أعمق، يمكن القول: إن الكُميت يعيد إنتاج المفاهيم القرآنية داخل نسق شعري يخدم رؤيته العقدية، ولا سيما فكرة الاصطفاء الإلهي لأهل البيت؛ إذ يقدّمهم ضمناً بوصفهم أهل «الهدى»، و«الحق»، في مقابل خصومهم الذين يُنسب إليهم «الهُوى»، و«التشعب». وهذه المقابلة ليست اعتباطية، بل تبني على خلفية قرآنية تجعل الهداية مرتبطة بالنور الإلهي، والضلال مرتبطاً باتباع الهوى. وبهذا، يصبح النص الشعري عند الكُميت مجالاً لتفعيل الدلالة القرآنية لا نقلها فقط، حيث تتحول المفردة إلى بنية فكرية، ويتحول الاقتباس إلى آلية حجاجية تمنح الخطاب الشعري سلطة معنوية مستمدة من قداسة النص القرآني.

وقد يتحوّل القرآن الكريم في «الهاشميات» من نص تعبدي إلى وثيقة احتجاجية يُستند إليها في إثبات المواقف، عبر التضمين، والإشارة، والتلميح، وليس عن طريق الاقتباس الحرفي المباشر، من مثل قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥٢١ - ٥٢٢):

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً
وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَأَيًّا تَتَابَعْتُ
تَأْوَلُهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرَبٌ
لَكُمْ نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشُّكِّ مُنْصَبٌ

ففي هذين البيتين ينطلق الكُميت من افتراض مركزي، مفاده أن الحقيقة التي يدافع عنها ليست رأياً ذاتياً، بل مستندة إلى نص مقدّس؛ فعبارة «وجدنا لكم» توحى بعملية بحث واستنباط، تُحيل إلى منهج تأويلي يتقاطع مع آليات التفسير الديني. كما أن تخصيصه «آل حاميم» بالإشارة يضيف على الخطاب طابعاً علمياً دقيقاً؛ إذ يحيل إلى مجموعة من السور القرآنية التي تشترك في مفتتح واحد، مما يعزز الإيحاء بأن الدلالة التي يستخرجها ليست جزئية أو معزولة، بل ممتدة في بنية النص القرآني.

وتكشف عبارة «تأولها منا تقيٌّ ومعرب» عن وعي عميق بطبيعة التعامل مع النص المقدّس، حيث يجمع الشاعر بين شرطين أساسيين لفهمه: التقوى: بوصفها شرطاً روحياً وأخلاقياً، والإعراب: بوصفه أداة علمية لغوية. ويشير هذا الجمع إلى أن فهم القرآن الكريم لا يتحقّق

إلا بتكامل البعدين، وهو ما يعكس تصوراً مبكراً لإشكالية الظاهر والباطن في التفسير. كما يوحى بوجود «نخبة» مؤهلة لامتلاك هذا الفهم، وهو ما يمنح التأويل بعداً سلطوياً.

ويلحظ أن الخطاب في هذين البيتين يتأسس على بنية جدلية واضحة، تقوم على إثبات وجود الأدلة في القرآن الكريم، وتأكيد صحة تأويلها من قبل أهل العلم، ونفي قيمة الشك والتشكيك؛ ففي قوله: «وفي غيرها آياً وآياً تتابعت» يريد في غير «آل حاميم» آيات كثيرة، تتعب الشاك فيها ولا يقدر أن يتأول هذه الآيات في غيركم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (سورة الأحزاب: آية ٣٣)، وقوله عز وجل: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (سورة الإسراء: آية ٢٦)، وقوله جلَّ اسْمُهُ: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُصْمَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة الأنفال: آية ٤١)، وغيرها. وتتجلى الذروة الحجاجية في قوله: «لذي الشك منصب»؛ إذ يوظف الشاعر أسلوباً تهكمياً يقلب فيه المعنى، فيجعل الشك - الذي يفترض أن يكون موقفاً نقدياً - عبثاً فكرياً يوقع صاحبه في العناء. وبذلك يتحول النص إلى خطاب إقناعي يسعى إلى حسم الجدل لا مجرد عرضه.

وليس هذا فحسب، بل يبرز في هذين البيتين تداخل واضح بين مستويين: المستوى الشعري: من خلال الإيقاع والتكرار والبناء المتوازن، والمستوى الديني: من خلال الإحالة إلى النص القرآني وآليات تأويله. وهذا التداخل يؤدي إلى إعادة تعريف وظيفة الشعر؛ إذ لم يعد مجرد أداة للتعبير الجمالي، بل أصبح وسيلة للتفسير والدفاع العقائدي. ومع ذلك، يحافظ الكميته على شعريته عبر توظيف عناصر فنية مثل التكرار «آياً وآياً»، الذي يعزز الإيقاع ويكشف الدلالة.

إن توظيف المقدس هنا يمكن عدّه كأداة شرعنة أيديولوجية؛ إذ كان الصراع على الشرعية في العصر الأموي قائماً بين قوى متعددة. وفي هذا الإطار، يصبح المقدس: أداة شرعنة: يضيف على الموقف السياسي بعداً دينياً، ووسيلة إقناع: تُخضع الخصم لسلطة النص، ومجالاً للتأويل: يُعاد من خلاله إنتاج المعنى بما يخدم الرؤية الأيديولوجية. وبذلك لا يكتفي الكميته باستدعاء القرآن الكريم، بل يعيد توظيفه ضمن خطاب يهدف إلى إعادة توزيع السلطة الرمزية في المجتمع.

ومن ثم تكشف هذه القراءة أن المقدس القرآني في الهاشميات ليس عنصراً زخرفياً، بل مكوّن بنيوي في تشكيل خطابه؛ فهو يوظفه بوصفه مرجعية حجاجية، وحقلاً تأويلياً، وسلطة رمزية تدعم موقفه العقائدي، لا نصاً منقولاً بحرفيته داخل الشعر. ويُعزى هذا الاختيار الأسلوبي

إلى جملة من الاعتبارات؛ في مقدمتها الوعي بقداصة النص القرآني بوصفه نصًا مغلقًا مكتملاً لا يُستحسن إدراجه حرفيًا داخل بنية شعرية تخضع لمقتضيات الوزن والقافية، مما قد يعرضه للتحوير أو التفكيك. كما أنّ الشاعر يسعى إلى الحفاظ على استقلالية الخطاب الشعري، بحيث يظلّ النص الأدبي قائمًا بذاته، مستفيدًا من سلطة المقدّس دون أن يذوب فيه. يضاف إلى ذلك أنّ التلميح أقدر على إشراك المتلقي في عملية الفهم، إذ يستدعي منه استحضار المرجعية القرآنية وتأويلها داخل السياق الشعري.

ثانيًا: المقدّس النبوي الشريف:

يُعدّ المقدّس النبوي الشريف أحد أهم المرتكزات الدلالية في شعر الكُميت؛ إذ شكّل حضور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وآل بيته (رضي الله عنهم) محورًا رئيسًا في تجربته الشعرية، وقد ارتبط هذا الحضور بظروف العصر الأموي وما شهدته من تحولات سياسية وفكرية، الأمر الذي جعل الشاعر يتخذ من شعره وسيلة للتعبير عن موقفه العقدي والدفاع عن مكانة آل البيت في المجتمع الإسلامي، وقد تجلّى هذا الاتجاه بوضوح في «الهاشميات» التي تمثل أحد أبرز النماذج الشعرية التي مزجت بين البعد الديني والبعد السياسي في الأدب الأموي (ينظر: خفاجي، ١٩٨٥، ص ٢١٤).

وحضور النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الهاشميات لا يقتصر على البعد الديني أو العاطفي فحسب، بل يتجاوز ذلك ليغدو مركزًا دلاليًا تتأسس عليه رؤية الشاعر الفكرية والسياسية والأخلاقية؛ فالكُميت يوظف الشخصية النبوية بوصفها رمزًا للمقدّس الإسلامي ومصدرًا للشرعية القيمة، ويجعل من استحضارها أداةً لإعادة بناء منظومة الحق والعدل في مواجهة واقع سياسي واجتماعي مضطرب عاشته الدولة الأموية. ومن هنا فإن المقدّس النبوي في هذه القصائد لا يظهر بوصفه عنصرًا وعظيًّا مجردًا، بل يتجلّى بوصفه قوة رمزية فاعلة تمنح الخطاب الشعري بعده العقائدي والاحتجاجي. ويتضح هذا الحضور المقدّس في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٦٢٦):

نَفْسِي فِدَاءُ رَسُولِ اللَّهِ قَلٌّ لَهُ مَنِّي وَمَنْ بَعْدِهِمْ أَذْنَى لِتَقْلِيلِ
نَفْسِي فِدَاءُ الَّذِي لَا الْعَدْرُ شِيْمَتُهُ وَلَا الْمَعَاذِيرُ مِنْ بُخْلِ وَتَقْلِيلِ

تكشف هذين البيتين عن طبيعة العلاقة الروحية التي يقيمها الكُميت مع النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ يعتمد الشاعر صيغة الفداء، وهي من أعلى درجات التعبير العاطفي والاعتقادي، بما تحمله من دلالات التضحية المطلقة والانتماء الوجداني العميق. فقول

الشاعر: «نفسى فداء رسول الله»، لا يفهم على مستوى المبالغة الشعرية وحدها، بل يعبر عن وعي ديني يرى في النبي القيمة العليا التي تسمو فوق الذات والحياة، وهو ما يمنح الخطاب الشعري طابعاً تقديسياً واضحاً.

كما يحرص الكُميت على إبراز الكمال الأخلاقي للنبي من خلال نفي الصفات السلبية عنه، مثل الغدر والبخل، في مقابل إثبات صفات الوفاء والكرم والطهارة المعنوية. ويقوم هذا الأسلوب على بناء صورة مثالية للنبي بوصفه الإنسان الكامل الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية العليا، الأمر الذي يجعل الشخصية النبوية معياراً أخلاقياً تُقاس به أفعال الناس والحكام والمجتمع. ومن ثم فإن المقدّس النبوي في الهاشميات يتجلى عبر تحويل السيرة النبوية إلى مرجعية أخلاقية مطلقة.

ولا يقف حضور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) عند حدود التمجيد الأخلاقي، بل يمتد إلى البعد السياسي والفكري؛ إذ يرتبط ذكره في كثير من الهاشميات بالدفاع عن آل البيت وتأكيد أحقيتهم المعنوية والسياسية. فالشاعر ينطلق من قداسة النبي ليؤسس شرعية رمزية لقربته وآله، ولذلك تصبح الشخصية النبوية محوراً في بناء خطاب احتجاجي يعارض الانحراف عن المبادئ الإسلامية الأولى. وبهذا يتحول المقدّس النبوي إلى وسيلة نقد سياسي غير مباشر؛ إذ يستدعي الشاعر صورة النبي العادلة والنقية ليقارنها بواقع السلطة في عصره.

ومن الناحية الفنية، يعتمد الكُميت في تشكيل المقدّس النبوي على لغة ذات طابع تعبدي وإيقاع وجداني مؤثر، تتكرر فيها ألفاظ (الفداء، والطهر، والوفاء، والاصطفاء)، وهي مفردات تخلق حقلاً دلاليًا يوحى بالتقديس والتعظيم. كما يوظف في قوله: «لا العَدْرُ شَيْمَتُهُ ولا المَعَاذِيرُ من بُخْلِ»، أسلوب النفي والإثبات في رسم صورة النبي؛ فينفي عنه صفات النقص ليؤكد اكتمال فضائله، وهو أسلوب يمنح الصورة الشعرية قوة إقناعية، ويعمّق أثرها النفسي في المتلقي.

ويكشف هذا التوظيف للمقدّس النبوي عن وعي الكُميت بوظيفة الشعر بوصفه وسيلة للدفاع عن القيم والمعتقدات، لا مجرد أداة للمدح التقليدي؛ فالنبي (صلى الله عليه وسلم) في شعره ليس شخصية تاريخية تُستعاد للثناء فقط، وإنما هو رمز ديني وأخلاقي وحضاري تتحدد من خلاله معايير الحق والعدل والانتماء. ومن هنا يمكن القول إن هذا النص أسهم في ترسيخ صورة النبي بوصفه المثال الأعلى في الوعي الإسلامي، وربط بين حب النبي والالتزام بالقيم التي جاء بها الإسلام. وبذلك يتخذ المقدّس النبوي في الهاشميات أبعاداً متعددة؛ فهو

مقدّس ديني يتجلى في التعظيم والمحبة، ومقدّس أخلاقي يتمثل في جعله معياراً للكمال الإنساني، ومقدّس سياسي وفكري يوظف للدفاع عن الشرعية والعدل.

ويحتل آل البيت مكانة مركزية في الهاشميات؛ إذ يبرزهم الشاعر بوصفهم الامتداد الطبيعي لرسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد جعل الدفاع عنهم محوراً رئيساً في قصائده، ويبرز هذا في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥١٨):

إليكم ذوي آل النبي تطلّعت نوازع من قلبي ظمأً وألبب

يصوّر الشاعر في هذا البيت انجذاب قلبه نحو آل البيت، مستخدماً صورة بلاغية تقوم على تشبيه الشوق بالعطش؛ إذ يصف نوازع قلبه بأنها ظمأى إليهم، وهذه الصورة تعبّر عن عمق تعلقه بهم وعن المكانة الروحية التي يحتلونها في نفسه، كما أن ذكر آل النبي يربط بينهم وبين الرسالة النبوية، مما يضيف على حضورهم في القصيدة طابعاً دينياً واضحاً (ينظر: القيسي، ١٩٧٢، ص ١٣٤).

ويكشف هذا البيت عن البعد العاطفي العميق الذي يربط الشاعر بآل البيت، إذ يصوّر الكميّة توجه قلبه إليهم بوصفه ميلاً فطرياً صادقاً نابغاً من أعماق النفس؛ فالشاعر يفتح البيت بعبارة «إليكم» التي تفيد التوجّه المباشر، مما يمنح الخطاب طابعاً وجدانياً واضحاً، ويشير إلى أن مقصد الشاعر ووجهته الروحية إنما تتجه نحو آل النبي، أما قوله «ذوي آل النبي»، فيحمل دلالة واضحة على استحضر النسب النبوي، وهو عنصر أساسي في شعر الكميّة؛ إذ يربط الشاعر بين مكانة آل البيت وبين اتصالهم بالرسالة النبوية، ومن خلال هذا الربط يسعى إلى ترسيخ فكرة أن محبتهم ليست مجرد تعاطف عاطفي، بل هي موقف ديني يستند إلى مكانتهم الخاصة في الإسلام. وفي الشطر الثاني يستخدم الشاعر صورة بلاغية معبّرة حين يقول: «تطلّعت نوازع من قلبي ظمأً»؛ فالنوازع هي الميول والدوافع النفسية، وقد وصفها بالظمأ ليصوّر شدة شوقه إلى آل البيت، فالظمأ هنا استعارة تشير إلى التوق الروحي العميق الذي يشعر به الشاعر، وكأن قلبه عطشان إلى القرب منهم وإلى مواليتهم. أما كلمة «ألبب» فهي جمع لبّ، أي العقل الخالص أو جوهر الفكر، وهو ما يدل على أن هذا الميل ليس عاطفياً فقط، بل هو نابغ أيضاً من قناعة عقلية راسخة وبهذا يجمع الشاعر بين العاطفة والعقل في تأكيد ولاءه لآل البيت، وهو أسلوب يضيف على خطابه الشعري بعداً فكرياً واضحاً.

ومن الأمثلة الشعرية الأخرى التي توضح ذلك أيضاً، قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥١٤ -

: (٥١٥)

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فإني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

فالشاعر لا يقدم محبته لبني هاشم بوصفها مجرد انتماء عاطفي أو قبلي، بل يجعلها متصلة مباشرة بالنبي؛ لأنهم «رهط النبي»، أي الجماعة الأقرب إليه نسباً وروحاً. ومن هنا تتأسس قداسة آل البيت في النص على علاقتهم بالنبي ذاته، فتغدو محبتهم جزءاً من محبته، والتقرب إليهم سبيلاً للتقرب إلى الله عبر الارتباط بالرسالة النبوية ومصدرها المقدس.

ويتجلى المقدس النبوي بوضوح في قول الشاعر: «بحبهم إلى الله أتقرب»؛ إذ يربط الشاعر بين التقرب إلى الله وبين محبة أهل بيت النبي، بما يعكس تصوّراً دينياً يرى أن الارتباط بالنبي وآله ليس مجرد ولاء اجتماعي، بل ممارسة إيمانية ذات بعد تعبدي. وبهذا يتحول حضور النبي في النص إلى مركز روحي غير مباشر؛ فالنبي حاضر من خلال أسرته التي تحمل أثره وتمثل استمرارية قيمه وهديه.

كما أن وصف آل البيت بـ«النفر البيض» يكتسب دلالة المقدسة من قربهم من النبي؛ فالبياض هنا يرمز إلى الطهر والنقاء والصفاء الروحي، وهي صفات ارتبطت في الوعي الإسلامي بالشخصية النبوية وما يتصل بها. ولذلك فإن الكمية يوظف هذا الوصف ليمنح آل البيت هالة من السمو مستمدة من انتسابهم إلى النبي، لا من مجرد مكانتهم الاجتماعية. ويتعمق المقدس النبوي في البيت الثاني حين يقول: «بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب»، فالشاعر يجعل مواقف الشعورية والأخلاقية مرتبطة بمن ينتسبون إلى النبي، وكأن رضاه وغضبه امتداد للولاء النبوي نفسه. وهذا التماهي الوجداني يعكس تقديساً غير مباشر للنبي، لأن آل البيت يُقدّمون بوصفهم الحاملين لقيمته وسيرته، ومن ثم يصبح الانحياز إليهم انحيازاً إلى المبادئ التي جاء بها الإسلام.

وبذلك يتجلى المقدس النبوي في هذه الأبيات من خلال ربط آل البيت بالمصدر النبوي المقدس، وتحويل محبتهم إلى صورة من صور الولاء الديني المرتبط بالنبي ورسالته؛ فالكمية لا يمدح آل البيت لذاتهم فحسب، بل لأنهم يمثلون الامتداد الروحي والأخلاقي للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، الأمر الذي يجعل حضورهم في النص انعكاساً لحضور النبي نفسه، بوصفه الرمز الأعلى للقداسة والهداية في الوعي الإسلامي.

ويلحظ أن الكمية اعتمد في توظيفه للمقدس النبوي على مجموعة من الوسائل الفنية التي أسهمت في إبراز البعد الديني والفكري في شعره، ومن أبرز هذه الوسائل: استحضار

النسب النبوي؛ إذ حرص الشاعر على إبراز النسب الذي يربط آل البيت بالنبي، فيذكر بني هاشم وبيت النبوة ليؤكد مكانتهم الدينية. ويُعدّ هذا الأسلوب من أهم الوسائل التي استخدمها الكُميت لترسيخ صورة آل البيت في ذهن المتلقي، إذ يربط فضائلهم بقربهم من النبي ونشأتهم في بيته، كما في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٦٠٢):

يَخْضَنَ بِهِمْ مِنْ آلِ أَحْمَدَ فِي الْوَعَى دَمَا ظَلَّ مِنْهُمْ كَالْبَهِيمِ الْمُحَجَّلُ
وْغَابَ نَبِيُّ اللَّهِ عَنْهُمْ وَفَقَدَهُ عَلَى النَّاسِ رُزْءٌ مَا هُنَاكَ مُجَلَّلُ

ففي هذين البيتين يتجلى استحضر النسب النبوي بوضوح من خلال عبارة (آل أحمد)، التي تشير إلى أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو تعبير يحمل دلالة نسبية وروحية في آن واحد؛ فالشاعر لا يذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) باسمه مجرداً فحسب، بل يربط بينه وبين آله، مما يبرز الامتداد العائلي والروحي للرسالة الإسلامية. كما يصوّر الشاعر مشهد المعركة تصويراً مأساوياً؛ إذ يجعل الدماء التي يخوضها آل أحمد في الوعى علامة على التضحية التي قدمها أهل البيت في سبيل الدفاع عن الدين. ويزداد البعد العاطفي في البيت الثاني عندما يشير إلى غياب النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويصف فقده بأنه رزء عظيم أصاب الأمة كلها، وهو ما يضيف على النص بعداً تاريخياً ودينياً عميقاً، ومن الناحية الدلالية يجمع هذا الشاهد بين استحضر النسب النبوي واستدعاء الذاكرة التاريخية المرتبطة بصراعات صدر الإسلام، حيث يتحول ذكر آل النبي إلى رمز للصبر والتضحية والثبات على المبادئ الدينية وبذلك يندمج البعد النسبي بالمقدس التاريخي في بنية الخطاب الشعري (ينظر: السامرائي، د.ت، ص ٧٨).

وقد يعمد الكُميت إلى توظيف العاطفة الدينية لإبراز المقدّس النبوي في شعره؛ إذ يعتمد على التعبير عن مشاعر الحب والولاء تجاه النبي محمد وآل بيته، مما يمنح قصائده طابعاً وجدانياً عميقاً تتداخل فيه العقيدة بالعاطفة. ويظهر ذلك في الصور الشعرية التي تعبّر عن التعلّق الروحي بالنبي وآله، بوصفهم مصدر الهداية والصفاء الديني، كما في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٦٢٣):

لَدَى الرَّحْمَنِ يَصْدَعُ بِالْمَثَانِي وَكَانَ لَهُ أَبُو حَسَنِ مُطِيعاً

يتجلى المقدّس النبوي في هذا البيت من خلال استحضر الجوّ الديني المرتبط بالوحي والرسالة؛ فالشاعر يفتتح الصورة بذكر اسم الجلالة «الرحمن»، وهو اسم يحمل دلالات الرحمة الإلهية والعناية الربانية، ثم يعقبه بلفظة «المثاني» التي تُحيل إلى القرآن الكريم

بوصفه النص المقدّس المرتبط برسالة النبي. وبهذا التشكيل اللغوي يربط الكميّة بين النبي والوحي الإلهي، فيجعل الخطاب الشعري مشبعًا بهالة قدسية تستمد جذورها من القرآن والرسالة المحمدية.

ويكشف فعل «يصدع بالمتاني» عن صورة النبي المبلّغ للوحي والناطق بالحق الإلهي؛ إذ يوحي الفعل بالقوة والوضوح والجهر بالرسالة، وهو ما يعزز حضور النبي بوصفه حامل الهداية الإلهية إلى الناس. ومن هنا فإن المقدّس النبوي لا يظهر بصورة مباشرة فقط، بل يتجلّى عبر استحضار الوظيفة الرسالية للنبي وعلاقته بالوحي القرآني، الأمر الذي يضيف على النص بعدًا تعبديًا وروحانيًا عميقًا.

كما يعزّز الشاعر هذا المقدّس باستحضار شخصية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) المكنّى بـ«أبي الحسن»، مصوّرًا إياه في حالة طاعة وامتنال للرسالة النبوية. وتكتسب هذه الطاعة بعدها المقدّس من كونها مرتبطة بالنبي وما جاء به من هداية؛ فالإمام علي لا يُذكر هنا بوصفه شخصية تاريخية فحسب، بل بوصفه أقرب الناس إلى النبي وأكثرهم التزامًا برسالته. ومن ثم فإن حضور علي (رضي الله عنه) في النص هو امتداد لحضور النبي نفسه؛ لأن طاعته تمثل طاعة للمبادئ والقيم التي أرساها الإسلام.

ويتجلّى البعد العاطفي في النص من خلال هذا الربط الروحي بين النبي وآل بيته؛ إذ يجعل الكميّة من الولاء لهم صورة من صور الولاء النبوي. فالشاعر لا يعبر عن موقف فكري جاف، بل يصوغ انتماءه في إطار وجداني مشبع بالتقديس والمحبة، الأمر الذي يمنح الخطاب الشعري حرارة عاطفية تعكس عمق تعلقه بالمقدّس النبوي. ويكشف هذا التوظيف عن أن المقدّس النبوي في الهاشميات لا يقتصر على مدح النبي بصورة مباشرة، بل يتجلّى أيضًا عبر استحضار رموز مرتبطة به، كآل البيت، والرسالة؛ فالنبي حاضر في النص بوصفه محور الهداية ومصدر الشرعية الروحية، بينما يظهر آل بيته بوصفهم الامتداد الحافظ لقيمه وسيرته.

رابعًا: المقدّس التاريخي:

يُعدّ توظيف المقدّس التاريخي من الظواهر البارزة في شعر الكميّة؛ إذ يتكئ الشاعر على استحضار أحداث مفصلية من التاريخ الإسلامي ارتبطت في الوعي الجمعي بمعانٍ دينية وأخلاقية عميقة. ولا يقتصر هذا الاستحضار على مجرد الإشارة إلى وقائع تاريخية بعينها،

بل يتجاوز ذلك إلى إعادة توظيفها داخل النص الشعري بوصفها علامات دلالية ورموزاً ثقافية تعبّر عن صراع القيم في المجتمع الإسلامي، ولا سيما الصراع بين العدل والظلم، أو بين الحق والباطل. ومن هنا يغدو التاريخ في الهاشميات فضاءً دلاليًا تتقاطع فيه الذاكرة الدينية مع الرؤية الفكرية للشاعر، ليؤدي وظيفة خطابية تتجاوز السرد التاريخي إلى بناء موقف عقدي وأيديولوجي واضح.

وقد ارتبطت هذه الظاهرة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها الكُميت، إذ شهد العصر الأموي تحولات سياسية وفكرية عميقة أدت إلى بروز خطاب شعري ذي طابع جدلي، يسعى إلى الدفاع عن مواقف سياسية أو عقدية معينة، وفي هذا السياق اكتسبت الأحداث التاريخية المرتبطة بأهل البيت بعداً رمزياً خاصاً؛ لأنها مثّلت في نظر كثير من الشعراء تجسيداً للصراع بين الشرعية الدينية والسلطة السياسية، ولذلك لجأ الكُميت إلى استحضار هذه الأحداث في قصائده بوصفها مرجعاً تاريخياً مقدّساً يضيف على خطابه الشعري بعداً أخلاقياً ودينيّاً (ينظر: حمداوي، ٢٠١٦، ص ١٢٢).

وتعدّ واقعة معركة كربلاء من أكثر الأحداث حضوراً في الذاكرة التاريخية الإسلامية؛ إذ تمثل لحظة مفصلية تجسّد فيها الصراع بين المبادئ الدينية والسلطة السياسية. وقد اكتسبت هذه الواقعة مع مرور الزمن طابعاً رمزياً جعلها تمثل في الوعي الإسلامي نموذجاً للتضحية في سبيل الحق، ولذلك أصبحت مصدر إلهام للعديد من الشعراء الذين سعوا إلى استحضارها بوصفها رمزاً للصمود والثبات على المبدأ، ومنهم الكُميت؛ إذ يندرج شعره ضمن هذا الاتجاه الذي يستحضر القيم التي جسّدتها هذه الواقعة، مثل: الشهادة، والثبات، والالتزام بالمبدأ، وهو ما نجده في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥٤٢):

قَتِيلٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَيَا لَكَ لَحْمًا لَيْسَ عَنْهُ مُدَبِّبٌ
وَمُنْعَفَرُ الخَدَّيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَلَا حَبَّذَا ذَاكَ الحَيِّينِ المُتَرَبِّبِ

يستحضر الشاعر في هذين البيتين مأساة معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي (رضي الله عنهما)؛ إذ تشير عبارة (بجنب الطف) إلى أرض كربلاء التي وقعت فيها المعركة. ويصوّر الكُميت جسد الشهيد مطروحاً على التراب في قوله: «ومنعفر الخدين»، وهي صورة شعرية مؤثرة تعكس فداحة المأساة التي حلّت بآل البيت. كما أن تعبيره «ليس عنه مدبّب»، يوحي بغياب الناصر الذي يدفع عنه القتل، مما يزيد من البعد المأساوي للحدث. ومن خلال هذا التصوير تتحول كربلاء في الهاشميات إلى رمزٍ تاريخي ذي قداسة دينية

تُستحضر من خلاله قيم التضحية والثبات على الحق، ومظهرًا من مظاهر الولاء لآل البيت. فالشاعر لا يتعامل مع كربلاء بوصفها حدثًا تاريخيًا منقضيًا، بل يقدمها بوصفها نموذجاً أخلاقياً مقدّساً يعكس الصراع الدائم بين العدالة والظلم، ومن خلال هذا التوظيف يتحول الحدث التاريخي إلى رمز دلالي يعبر عن رؤية الشاعر الفكرية والسياسية؛ إذ يصبح التاريخ في هذا السياق وسيلة لتأكيد القيم الدينية واستحضارها في مواجهة الواقع المعاصر للشاعر. ويشير بعض الباحثين إلى أن استحضار أحداث مثل كربلاء في الشعر الأموي لم يكن مجرد استعادة للذاكرة التاريخية، بل كان تعبيراً عن موقف فكري وأخلاقي يهدف إلى إبراز قيم التضحية والعدل التي ارتبطت بهذه الواقعة في الوعي الإسلامي (ينظر: خفاجي، ١٩٨٥، ص ١٣٦).

وإلى جانب استحضار الأحداث التاريخية، يولي الكُميت اهتماماً كبيراً بالشخصيات التي ارتبطت بتلك الأحداث، ولا سيما شخصيات أهل البيت؛ فهذه الشخصيات تظهر في شعره بوصفها رموزاً دينية وتاريخية تجسد قيم الحق والعدل، مما يمنح النص الشعري بعداً رمزياً دينياً يتجاوز حدود المدح التقليدي، ويتجلى ذلك في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٦٢٨):

أَهْوَى عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا
وَلَا أَقُولُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِيَا فَدَكًّا
أَرْضِي بِشْتِمِ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عَمْرًا
بِنْتِ الرَّسُولِ وَلَا مِيرَاثِهَا كَفَرًا

يكشف هذا النص عن وعي تاريخي واضح لدى الشاعر؛ إذ يستحضر شخصيات مركزية في التاريخ الإسلامي مثل: علي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وعمر (رضي الله عنهم)، كما يشير إلى قضية (فدك) التي ارتبطت بسيرة فاطمة الزهراء بنت النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويعكس هذا الاستحضار رغبة الشاعر في إعادة قراءة التاريخ الإسلامي من منظور أخلاقي يركز على القيم التي تمثلها تلك الشخصيات والأحداث.

وليس هذا فحسب، بل يكشف هذا النص أيضًا عن النزعة الاعتدالية في خطاب الكُميت؛ إذ يجمع بين محبة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وبين احترامه للصحابة، ولا سيما أبي بكر، وعمر (رضي الله عنهما)، مما يعكس محاولة الشاعر التوفيق بين الانتماء العقدي والاعتدال في الموقف. ومن ثم يضيف على الخطاب الشعري بعداً دينياً يستمد مرجعيته من السيرة النبوية وأحداثها، وبذلك يتداخل البعد الشعري مع الوعي التاريخي والديني، فيتحوّل النص إلى خطاب يعبر عن موقف فكري وعقدي يتجاوز حدود المدح التقليدي، ويجعل النص ينتمي إلى الخطّ العقدي المعتدل.

ومن السمات اللافتة في توظيف الكُميت للتاريخي ربطه بين الأحداث التاريخية وبين مفهوم العدالة الإلهية؛ فالشاعر لا ينظر إلى التاريخ بوصفه سلسلة من الوقائع المنتهية، بل يرى فيه مجالاً تتجلى فيه إرادة الله وعدالته التي ستتحقق بصورة كاملة يوم القيامة، ولذلك نجده - في البيت الذي يلي هذين البيتين - يستحضر البعد الأخروي؛ ليؤكد أن ما وقع في التاريخ من ظلم أو عدوان لن يظل بلا حساب، فيقول (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٦٢٨):

اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا يَأْتِيَانِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُنْدٍ إِذَا اعْتَدَرَا

ففيه يستند الشاعر إلى مفهوم قرآني أصيل يتمثل في علم الله المطلق والحساب يوم القيامة؛ إذ يجعل من العدالة الإلهية المرجع النهائي للحكم على أفعال البشر، فالله سبحانه هو العليم بما يقدمه الإنسان من حجج أو أعذار يوم القيامة. ومن خلال هذا الاستحضار لفكرة الحساب الأخروي يضيف الكُميت على خطابه الشعري بعداً دينياً واضحاً؛ إذ يربط بين الموقف التاريخي الذي يتناوله وبين الجزاء الأخروي الذي ينتظر الظالمين يوم القيامة، وبذلك يتحول الشعر إلى وسيلة للتذكير بالقيم الدينية وترسيخها في وعي المتلقي.

إن استحضار المقدّس التاريخي في الهاشميات لا يقتصر على البعد الفني، بل يؤدي وظيفة خطابية واضحة؛ إذ يسعى الشاعر من خلاله إلى إقناع المتلقي بشرعية موقفه الفكري والسياسي، فالإحالة إلى أحداث تاريخية وشخصيات ذات مكانة دينية في الوجدان الإسلامي تمنح الخطاب الشعري سلطة رمزية كبيرة؛ لأنها تستند إلى مرجعية تاريخية ودينية مشتركة بين الشاعر والمتلقي، وبذلك استطاع الشاعر أن يحوّل التاريخ الإسلامي إلى بنية رمزية داخل النص الشعري، بحيث يصبح الحدث التاريخي عنصراً فاعلاً في تشكيل المعنى.

تمثّل الهاشميات مشروعاً خطابياً شعرياً يقوم على إعادة قراءة التاريخ الإسلامي المبكر من منظور عقائدي، ولذلك يتجلى المقدّس الديني التاريخي فيها لا بوصفه زينة بلاغية، بل بوصفه بنية خطابية تؤسس للشرعية والهوية والذاكرة. ويتضح ذلك بجلاء في قوله (الأسدي، ٢٠٠٠، ص ٥١٢):

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبْتُ وَلَا لِعِبَاءٍ مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ
وَلَكِنِ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالتُّقَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَبُ

ففي هذه الأبيات لا يصرح الكُميت بوقائع تاريخية مباشرة، لكنه يستحضر تاريخاً كاملاً بصورة ضمنية؛ فحين يتحدث عن «أهل الفضائل والتقى»، و«خير بني حواء»، فإنه يحيل إلى

آل البيت بوصفهم الامتداد التاريخي والروحي للنبوّة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم). وهنا يتحول التاريخ الإسلامي المبكر إلى «تاريخ مقدّس»؛ لأن الشخصيات المرتبطة به ليست شخصيات عادية، بل شخصيات اكتسبت شرعيتها من قربها من النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن حضورها في الوعي الديني الإسلامي.

ومن ثم فإن المقدّس التاريخي يتشكل هنا عبر: استدعاء رموز المرحلة التأسيسية للإسلام، وربطها بفكرة الاصطفاء، ثم تحويل هذا الاصطفاء إلى قيمة مطلقة تتجاوز الزمن وبذلك لا يعود آل البيت مجرد جماعة تاريخية، بل يصبحون علامةً على «الحقيقة الأصلية» للإسلام كما يتصورها الشاعر.

وتتجلّى استراتيجية تحويل التاريخ إلى عقيدة، في افتتاح القصيدة؛ فالشاعر من خلالها قام بنفي النموذج التقليدي للقصيدة العربية: «طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبْتُ...»، و«لَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنْزِلٍ...»، فالقصيدة العربية الجاهلية والأُموية كثيرًا ما تبدأ بالغزل، لكن الكميت يهدم هذا الأفق المتوقع. إن هذا النفي ليس مجرد اختيار فني، بل هو إعلان انتقال من شعر اللهو إلى شعر الرسالة. ثم يواصل: «وَلَا لِعِبَاءٍ مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ»، فيستبعد اللهو والعبث، ليؤسس خطابًا ذا طابع أخلاقي ورسالي. وهنا تبدأ ملامح المقدّس التاريخي في التشكل؛ لأن الشاعر يُضفي على موضوعه طابع الجدية المرتبط بالقضايا المصيرية في تاريخ الأمة.

وحين يقول: «وَلَكِنِ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْتُقَى»، فإنه لا يصف آل البيت بصفات اجتماعية أو سياسية، بل يربطهم بمنظومة قيم دينية تتمثل ب(الفضيلة، والتقوى، والخير)، وهذه المفردات تنتمي إلى الحقل الديني القرآني، مما يجعل صورة آل البيت ترتفع من المستوى التاريخي إلى المستوى المقدّس.

وفي قوله: «وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ»، يبلغ الخطاب ذروة التقديس؛ فالتفضيل هنا مطلق وعام، إذ يجعل آل البيت «خير البشرية». وهذه الصيغة ليست مجرد مبالغة شعرية، بل آلية خطابية تهدف إلى: تكريس شرعية رمزية، وإعادة ترتيب الهرم القيمي للتاريخ الإسلامي. فالكميت لا يتحدث عن تفوق سياسي، بل عن تفوق وجودي وأخلاقي يستمد جذوره من النسب النبوي ومن الذاكرة الإسلامية المقدسة، بوصف آل البيت مركز التاريخ المقدّس. وبذلك يكشف هذا النص أن الكميت يستخدم المقدّس التاريخي بوصفه استراتيجية خطابية تهدف إلى: إعادة تأويل التاريخ الإسلامي، وتثبيت شرعية آل البيت، وتحويل الولاء التاريخي إلى

التزام ديني. ومن ثم فإن الهاشميات ليست مجرد مدح، بل خطاب أيديولوجي ديني يعيد بناء التاريخ داخل بنية شعرية مشحونة بالرموز المقدسة.

الخاتمة وأبرز النتائج

من خلال قراءة توظيف المقدس في هاشميات الكُميت بن زيد الأسدي، يتضح أن هذا الشاعر استطاع أن يقدم نموذجًا مميزًا للخطاب الشعري الذي يمتزج فيه البعد الفني بالبعد الديني والفكري؛ فقد جاءت هذه القصائد معبرة عن رؤية شعرية تنطلق من الإيمان العميق بالقرآن الكريم، وبمكانة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأهل بيته، وبأهمية الأحداث والشخوص التاريخية، الأمر الذي جعل هذه القصائد تحمل طابعًا وجدانيًا وروحياً واضحاً. ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذه القراءة، ما يأتي:

١ - إن حضور المقدس القرآني في الهاشميات يتجلى بوصفه حضوراً وظيفياً وجمالياً في آنٍ معاً؛ فهو من جهة يعزز البعد الحجاجي والعقدي للنصوص، ومن جهة أخرى يثريها دلاليًا عبر شبكة من الإحالات غير المباشرة. وبذلك يتحقق التوازن بين توكير النص المقدس والحفاظ على خصوصية الإبداع الشعري، في إطار رؤية تجعل من القرآن الكريم مرجعية عليا مُلهمة.

٢ - لم يعمد الشاعر إلى الاقتباس الحرفي المباشر للنص القرآني، بقدر ما اعتمد على آليات فنية أكثر مرونة وعمقاً، تمثلت في التضمين والإشارة والتلميح؛ فقد استحضر المعجم القرآني، واستدعى بنياته الدلالية المركزية مثل مفاهيم الهداية، والحق، والنور، والصراط، دون أن ينقل الآية في صورتها الأصلية الكاملة، وهو ما يمنح الهاشميات بعداً إيحائياً يفتح المجال للتأويل بدل الإحالة المباشرة.

٣ - إن حضور المقدس النبوي في الهاشميات لا يقتصر على ذكر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أو مدح آل بيته فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح إطاراً فكرياً يحدد رؤية الشاعر للعالم وللتاريخ الإسلامي؛ فالشاعر يرى في آل البيت الامتداد الطبيعي للرسالة النبوية، ويؤكد أن القيم التي جاء بها النبي من عدلٍ وحقٍ وهداية قد تجسدت فيهم.

٤ - وظَّف الكُميت المقدس التاريخي بوصفه استراتيجية خطابية تهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه؛ إذ مزج بين المعجم الديني والرموز التاريخية ليحوّل الهاشميات من مدحٍ تقليدي إلى خطاب فكري وعقدي يعيد تأويل التاريخ الإسلامي في ضوء قيم التضحية والعدالة والهداية، مما منحها بعداً أيديولوجياً وجمالياً في آنٍ واحد.

٥ - استحضرت الكُـمَيْت الشخصية الدينية والأحداث التاريخية والرموز العقائدية ليجعل منها عناصر فاعلة في تشكيل المعنى الشعري. ولم يكن هذا الاستحضار مجرد تسجيل تاريخي، بل تحوّل إلى بنية رمزية ذات دلالات عقدية وفكرية مقدّسة تعكس رؤية الشاعر للشرعية والهوية الدينية.

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - الأسدي، الكُميت بن زيد، (٢٠٠٠)، ديوان الكُميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار الجيل، بيروت، ط ١.
- ٢ - الأصفهاني، أبو الفرج، (د.ت)، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ٣ - إبياد، ميرسيا، (١٩٩٦)، المقدّس والمدنّس، ترجمة: نهاد خياطة، دار دمشق، دمشق.
- ٤ - بدوي، عبد الرحمن، (١٩٩٩)، موسوعة الفلسفة، دار القلم، بيروت.
- ٥ - الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، (د.ت)، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٦ - حمداوي، جميل، (٢٠١٦)، تحليل الخطاب الأدبي، دار الريف للطبع والنشر، المغرب.
- ٧ - خفاجي، محمد عبد المنعم، (د.ت)، الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت.
- ٨ - خفاجي، محمد عبد المنعم، (١٩٨٥)، الحياة الأدبية عصر بني أمية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- ٩ - دوركايم، إميل، (٢٠٠٥)، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- ١٠ - السامرائي، عبد اللطيف، (١٩٨٧)، أثر القرآن الكريم في الأدب العربي، ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ١١ - السامرائي، عبد اللطيف، (د.ت) شعر الكُميت بن زيد الأسدي: دراسة فنية وفكرية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- ١٢ - السامرائي، فاضل صالح، (١٩٨٤)، التعبير القرآني، ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١.
- ١٣ - ضيف، شوقي، (١٩٩٣)، تاريخ الادب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف،

القاهرة، ط٧.

١٤ - الطيب، عبد الله، (١٩٩٠)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٥ - عباس، إحسان، (١٩٧١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت.

١٦ - العسلي، علي محمد، (٢٠١٩)، القداسة في المفهوم الإسلامي، مجلة دراسات إسلامية، العدد ١٢.

١٧ - عطوان، حسين، (١٩٨٠)، الشعر الأموي، دار النهضة العربية، بيروت.

١٨ - الغانمي، سعيد، (٢٠٠٥)، النص المقدس وبنية المعنى، المركز الثقافي العربي، بيروت.

١٩ - الفحام، شاكر، (١٩٨٥)، دراسات في الشعر الأموي، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

٢٠ - فرحان، صالح كامل، (٢٠١٠)، الشعر والدين: فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي، دار الحدائق، بيروت.

٢١ - القيسي، نوري، (١٩٧٢)، الكميّ بن زيد الأسدي: حياته وشعره، بغداد: مطبعة المجمع العلمي.

Research Sources and References:

1. Al - Asadi, Al - Kumayt ibn Zayd. (2000). Diwan of Al - Kumayt ibn Zayd Al - Asadi. Compiled, edited, and annotated by Dr. Muhammad Nabil Tarifi. Beirut: Dar Al - Jeel, 1st ed.
2. Al - Isfahani, Abu al - Faraj. (n.d.). Kitab al - Aghani (The Book of Songs). Edited by Ihsan Abbas. Beirut: Dar Sader.
3. Eliade, Mircea. (1996). The Sacred and the Profane. Translated by Nihad Khayyata. Damascus: Dar Dimashq.
4. Badawi, Abd al - Rahman. (1999). Encyclopedia of Philosophy. Beirut: Dar Al - Qalam.
5. Al - Jahiz, Abu Uthman ibn Bahr. (n.d.). Al - Bayan wa al - Tabyin. Edited by Abd al - Salam Muhammad Harun. Cairo: Maktabat Al - Khanji.
6. Hamdawi, Jamil. (2016). Analysis of Literary Discourse. Morocco: Dar Al - Reef for Printing and Publishing.
7. Khafaji, Muhammad Abd al - Mun'im. (n.d.). Arabic Literature in the Umayyad and Abbasid Eras. Beirut: Dar Al - Jeel.
8. Khafaji, Muhammad Abd al - Mun'im. (1985). Literary Life in the Umayyad Era. Cairo: Dar Al - Fikr Al - Arabi.
9. Durkheim, Émile. (2005). The Elementary Forms of Religious Life. Translated by Muhammad al - Tahir al - Mansuri. Beirut: Arab Organization for Translation.
10. Al - Samarrai, Abd al - Latif. (1987). The Influence of the Holy Qur'an on Arabic Literature. Baghdad: Dar Al - Shu'un Al - Thaqafiyya Al - 'Amma.
11. Al - Samarrai, Abd al - Latif. (n.d.). The Poetry of Al - Kumayt ibn Zayd Al - Asadi: An Artistic and Intellectual Study. Baghdad: Dar Al - Shu'un Al - Thaqafiyya Al - 'Amma.
12. Al - Samarrai, Fadil Salih. (1984). Qur'anic Expression. Baghdad: Dar Al - Shu'un Al - Thaqafiyya Al - 'Amma, 1st ed.

13. Dayf, Shawqi. (1993). History of Arabic Literature: The Islamic Era. Cairo: Dar Al - Ma'arif, 7th ed.
14. Al - Tayyib, Abdallah. (1990). A Guide to Understanding Arabic Poetry and Its Craftsmanship. Cairo; Dar Al - Fikr Al - Arabi.
15. Abbas, Ihsan. (1971). History of Literary Criticism among the Arabs. Beirut: Dar Al - Thaqafa.
16. Al - Asali, Ali Muhammad. (2019). "Sacredness in the Islamic Concept." Journal of Islamic Studies, no. 12.
17. Atwan, Hussein. (1980). Umayyad Poetry. Beirut: Dar Al - Nahda Al - Arabiyya.
18. Al - Ghanimi, Saeed. (2005). The Sacred Text and the Structure of Meaning. Beirut: Arab Cultural Center.
19. Al - Fahham, Shakir. (1985). Studies in Umayyad Poetry. Damascus: Damascus University Publications.
20. Farhan, Salih Kamil. (2010). Poetry and Religion: The Effectiveness of the Sacred Religious Symbol in Arabic Poetry. Beirut: Dar Al - Hadatha.
21. Al - Qaysi, Nuri. (1972). Al - Kumayt ibn Zayd Al - Asadi: His Life and Poetry. Baghdad: Al - Majma' Al - 'Ilmi Press.